31.01.1993
القاهرة

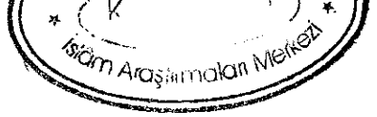

مكتبة السّنّة

١

التّقْـرِيبْ
فِي الحَدِيثِ النَّبَوِيّ الشّرِيفِ
وَمُصْطَلَحِهِ

تـأليف
الدكتور محمود كامل أحمد
مدرس الدراسات الإسلامية ـ بكلية الآداب
جامعة عين شمس

Türkiye Diyanet Vakfı
İslâm Araştırmaları Merkezi
Kütüphanesi
Demirbaş No: 146646
Tasnif No: 297.1
AHM.T

الطبعة الرابعة
١٩٨٥

الناشر
مكتبة الحرية الحديثة
جامعة عين شمس

بسم الله الرحمن الرحيم

« قُـلْ يـأيُّـها النَّاسُ إنِّـى رَسُولُ الله إلَيْكُـمْ جَمِيعـًا الَّـذى لَه مُلْكُ السَّـمَـواتِ وَالأرْضِ لاَ إلَـه إلاَّ هُوَيُحْيى وَ يُمِيتُ فـآمِنُوا بالله وَرَسُولِهِ النبِيِّ الأمِّيِّ الَّذى يُؤمِنُ بِاللهِ وكـلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهْ لَعَلَّكُـمْ تَهْتَدُونَ »

(الأعراف / ١٥٨)

١ ــ تعريف بالسنّة النبويّة ومكانتها في التشريع الإسلامى

إن ألفاظ الحديث والسنّة والخبَر والأثر مترادفة فى اصطلاح علماء الحديث النبوى الشريف . على أنه قد يخصّص فريق من العلماء لفظَى الخبر والأثر بما انتهى إلينا من طريق الصحابة والتابعين خاصا بهم ، أو واصفا لفعل ، أو إقرار منه صلّى الله عليه وسلم . والمراد بهذه الألفاظ ماوصل إلينا من النصوص التى تتضمن أقوال النبى عليه السلام ، وأفعاله ، وإقراراته ، فليست هذه النصوص إلاّ ماتحدّث به الرواة عنه صلى الله عليه وسلم قولاً . وفعلاً وإقرارًا مما يُسْتَنُّ به فى حياته عليه السلام ومن بعده ، وأسْمَوْه « الحديث النبوى » .

والمتأمل لهذه التسميات الأربع يجد أن لفظ السنّة أشملها وأدلّها على ما سمّى به الله كل مايتعلق بذات نبيّنا صلى الله عليه وسلم من الأفعال قولا وعملا وإقرارا . قال تعالى خطابا للمؤمنين : **« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا »** (١) .

وهذا المعنى نفسه مانجده فى قوله تعالى : **« وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَانَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا »** (٢) ، أخذا بعموم اللفظ لا بخصوص السبب الذى أنزلت فيه الآية .

والسُّنَّة بعد ذلك فى أصلها اللغوى الطريق المسلوكة ، أو السيرة ، أو المنهاج

(١) الأحزاب / ٢١ .

(٢) الحشر / ٧ .

وقد اختصها القرآن الكريم بالمعنى فنهى عن سنن الجاحدين ومنهاجهم ، ودعى إلى سنّة أُولى العزْم من الرُّسل مُؤكّدا على أن خاتم الرُّسُل محمدا صلى الله عليه وسلم جامِع بينها و بين ما سبقها من الرسالات بأنها سنة الله ومنهاجه الذى ارتضاه للمهتدين من عباده ؛ فقال تعالى مخاطبا سيدنا محمدا عليه الصلاة والسلام : **« مَا كَانَ عَلَى النَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِى الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا . الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللهَ وَكَفَى بِاللهِ حَسِيبًا »** (٣) .

ومن هنا يمكن أن نرى بوضوح حقيقة أن علم الحديث النبوى الشريف ، ومصطلحه الذى تقسم فيه أحاديث السنة إلى : صحيح ، وحسَن ، وضعيف ، وما سُمِّيت به أنواع كل قسم منها : إنما هو علم صناعى أحدثه علماء مصطلح الحديث بعد تدوين السُّنَّة . ومن ثم قالوا : إنّ مايدرسه الدارس من أقواله صلى الله عليه وسلم ، وأفعاله ، وإقراراته هو أحاديث السنة النبوية المشرّفة . أما ماينتظم هذه الدراسة من التسميات والتصنيفات والضوابط الفارقة بين كل قسم من أقسامها وكل نوع من أنواعها وماعداه فهو مايعرف بعلم « مُصطلَح الحديث النبوى » .

وبعدُ فليست السُّنَّةُ إلاّ بيانا لما أرسل إليهم به النَّبىُّ أو الرسول من الوحى المقدّس قال تعالى : **« وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ »** (٤) . وهذا مايبدو لنا بوضوح كامل فى قوله تعالى للنبى عليه السلام **« إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا »** (٥) . فالحق هو القرآن ومافيه من شرائع وأحكام ، و بيانه صلى الله عليه وسلم لما فيه تصديقا وتطبيقا هو البشارة والإنذار. و يطّرد ذلك بالنسبة لسائر الرسل وسائر الأمم ، قال تعالى : **« وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ »** (٦) . وطبقا لما سبق ، استقر فى أوساط العلماء المسلمين أن السنة بيان للقرآن وتفصيل لما فى نصوصه من إجمال وإيجاز، وعبَّر الفقهاء والمشرِّعُون عن ذلك بقولهم : « إنّ السنة قاضِية على الكتاب » : يَعنُون أنها مبيِّنة

(٣) الأحزاب / ٣٩ .

(٤) إبراهيم / ٤ .

(٥) البقرة / ١١٩ .

(٦) الأنعام / ٤٨ .

له وموضّحة لما فيه من أحكام العقيدة والعبادات ، والمعاملات ، والأخلاق .

وخلاصة القول هنا : أن السنة النبوية هى الأصل الثانى من أصول التشريع فى الإسلام . فالصلاة مثلا إنما عرفت مواقيتها ، وكيفية أدائها ، وأعداد ركعات كل منها ، وفروضها ونوافلها من السنة النبوية الشريفة . أما فى القرآن ، فلم يرد سوى الأمر المشدّد بالحث عليها فى مثل قوله تعالى : « **إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤمِنِينَ كِتَاباً مَّوْقُوتاً** » (٧) ، وقوله تعالى : « **حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ والصَّلاَةِ الْوَسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ** » (٨) . وقوله سبحانه للنبى صلى الله عليه وسلم : « **قل لِعِبَادِى يُقِيمُوا الصَّلاَةَ** » (٩) ، « **وَأَقِمِ الصَّلاَةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ** » ، وما إلى ذلك . وكذلك الحال فى باب الزكاة ، والحج ، والصيام ، والنكاح ، والطلاق ، والدّيات والجروح ، وغيرها من مسائل الفقه الإسلامى والتشريع إنما فَصّلت السنّةُ مُجملَها وأظهرت ماوراء الآيات من الحكمة الجامعة ، والرحمة البالغة بالمُنزَل عليهم القرآن ، والمُرسَل إليهم محمدٌ صلى الله عليه وسلم .

وتأكيدًا على أهمية السُّنّة النبوية ومكانتها فى التشريع الإسلامى فقد أمر الشارع تعالى بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وجعلها صِنْوًا لطاعته ـ جل وعلا ـ قال تعالى : « **مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ** » (١١) . كذلك فقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين بضرورة رواية الحديث وإسْمَاعِه لمن لم يبلُغْه فى كثير من نصوص أحاديث السُّنّة ؛ مما جعل روايتها وإسماعَها واجبا شرعيا على كلّ مَن بلَغَه شىء من صحيحها .

ومن أمثلة هذه الأحاديث مارواه البخارى عن عبد الرحمن بن أبى بَكْرة عن

---

(٧) النساء / ١٠٣ .

(٨) البقرة / ٢٣٨ .

(٩) إبراهيم / ٣١ .

(١٠) هود / ١١٤ .

(١١) النساء / ٨٠ .

أبيه يومَ النَّحْر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « **إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم بينكم حرام كحُرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . لِيُبَلِّغِ الشاهدُ الغائبَ فإن الشاهد عَسَى أن يبلِّغَ مَن هو أوْعَى له منه** » .

وروى أنَس بن مالك قال : قال عليه الصلاة والسلام : « **حدِّثوا عنى كما سمِعتُم ولا حَرَج ، ألاَ مَن افترى عَلَىَّ كذِبا متعمدًا بغير علم فليتبوأ مَقْعَدَه من النار** » .

وروى زيد بن ثابت أنه صلى الله عليه وسلم قال : « **نضّر الله أمْرءاً سمع منا حديثا فحفِظَه حتى يبلِّغَه عنا كما سمعه ، فرُبَّ حامل فِقْه غير فقيه** » ، وفى رواية أخرى للحديث : « **ورُبّ حامل فِقه إلى من هو أفْقَهُ منه** » . وفى رواية الترمذى أنّه قال : « **فرُبّ مبلّغ أوعى له من سامع** » .

وفى آخر وصاياه النبوية المشرّفة لوفد عبد القيس ختم ما أمرهم به ، ونهاهم عنه بقوله : « **احفظوه عنى ، وأخبِرُوا به مَنْ وراءكُمْ** » .

وكان عمر بن الخطاب يقول : « **سيأتى قوم يجادلونكم بشُبُهات القرآن ، فخذوهم بالسُّنَن ، فإن أصحاب السُّنَن أعلم بكتاب الله عز وجل** » .

ومما كان الشَّعبى وعبد الرحمن بن مهدى ينشدانه إذا زجروا مَنْ ترك السُّنّة واعتمد على الرأى فى تفسيره وفتواه :

دِينُ النَّبِىِّ محمدٍ أخْبَارُ نِعِمَ المطِيَّةُ للفَتَى الآثَارُ
لا ترغَبَنَّ عن الحدِيث وأهلِه فالرأى ليلٌ والحديثُ نَهَارُ

ويجمع هذا كلّه مايروى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع أصول الدين والتشريع فى هذين الأصلَيْن ، قال أبو سعيد : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « **أيها الناس إنى قد تركْتُ فيكم الثَّقَلَيْن : كتابَ الله وسُنَّتِى فلا تُفسدوه ، وإنّه لا تَعْمَى أبصارُكم ، ولن تزِلَّ أقدامُكم ، ولن تَقصُر أيديكم ، ما أخذْتُم بهما** » .

أما مايرويه الرواة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رواه عن رب العزة جل وعلا فهو مايعرف بإسم « الأحاديث القُدسيّة » . وتَصدّر الأحاديث القدسية فى كتب السُّنّة بما يفيد نسبتها إلى الله تعالى ، فَرْقًا بينها و بين أحاديث السّنة المنسوبة إليه عليه الصلاة والسلام .

ومن أمثلة الأحاديث القدسية مارواه أبوذَرٍّ الغِفَارى عن النبى صلى الله عليه وسلم ــ فيما يرويه عن الله عز وجل ــ أنه قال : « **ياعبادى إنى حرّمت الظُّلم على نفسى وجعلته بينكم محرَّما فلا تَظالَمُوا . ياعبادى كلّكم ضالٌّ إلاّ مَن هديتُه فاستهدونى أهدكم . ياعبادى كلّكم جائع إلاّ مَن أطعمتُه فاستطعمونى أطعمكم . ياعبادى كلّكم عارٍ إلاّ مَن كسَوتُه فاستكسونى أكْسِكُمْ . ياعبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفِرُ الذُّنوبَ جميعا فاستغفرونى أغفِرْ لكم** » ــ الحديث .

و يذهب فريق من علماء الحديث والمصطلح إلى أن الحديث القدسىّ مروىّ بلفظه ومعناه كرواية القرآن . ذلك أن الرواة كانوا يصدّرون هذه الأحاديث بمثل قولهم : « قال الله تعالى فيما رواه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم » وقولهم : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربّه » وما يناظرهما . وقد ذكر البخارى فى صحيحه نماذج لهذا فى كتاب العلم قال : « قال أبو العالية عن ابن عباس : عن النبى صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه . وقال أنس : عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربّه عز وجل . وقال أبوهريرة : عن النبى صلى الله عليه وسلم يرويه عن ربّكم عز وجل » (١٢) .

غير أن جمهور المحدّثين يرون أن ألفاظ الأحاديث القدسية إنما هى ألفاظ النبى صلى الله عليه وسلم . أما معانيها فمن عند الله إلهاما ووحيا للنبى صلى الله عليه وسلم ؛ وذلك ماتستدعيه التفرقة بين القرآن الكريم والأحاديث القدسية .

وقد عبّر عن هذا أبو البقاء فى كتابه المعروف بإسم « الكليات » قال : « إن القرآن ماكان لفظه ومعناه من عند الله بوَحْى جَلِىٍّ . وأما الحديث القدسى فهو ماكان لفظه من عند الرسول ، ومعناه من عند الله بالإلهام ، أو المنام » . وهذا الرأى هو ما استقر عليه العمل عند علماء الحديث ومصطلحه .

(١٢) صحيح البخارى ١/٢٣ .

٢ ــ التَّحمُّل والأداء

المراد بتحمُّل السنّة النبوية الشريفة هو بيان الطرق والكيفيّات التى ينقُل بها الرواة أحاديث السنّة النبوية ونصوصها من مصادرها الأولى ، وهى : النبى صلى الله عليه وسلم ، والصحابة ، والتّابِعون ، وتابعُو التّابعين .

أما الأداء فرواية ماتحمّله الرواة من هذه النصوص وإشاعته بين المسلمين بإحدى طرق التحمُّل التى سنعرض لها بالحديث . و بعبارة أخرى فإن الأداء هو تحميل الحامل الأوّل ماتحمّله من أحاديث السنة النبوية لغيره من الرواة الذين ارتضى رِوَايتَهم جماعةُ علماء المسلمين المعاصرين لهم .

و بعبارة أوضح يمكننا أن نقول إن التحمُّل هو « التَّعلُّم » ، والأداء هو « التَّعليم » لأحاديث السنة النبوية الشريفة .

أما الوسائل والكيفيّات التى يتم بها تحميل الحديث وأدَاؤُه فهى ثلاثة أنواع :

١ ــ وسائل سمعية : يعتمد فيها على التلفُّظ والسَّماع .

٢ ــ وسائل بصرية : يعتمد فيها على القراءة من مدوَّنات كتب السنّة ونَسْخِها وكتاباتها .

٣ ــ وسائل سمعية بصرية : يعتمد فيها على السماع والقراءة ، أو السماع والكتابة معًا .

وقبل أن نتعرض لبيان طرق التحمّل أرى أن أضع بين يدَى القارىء الكريم خلاصة مبسَّطة لما استقر عليه رأى جمهور علماء الحديث والمُصْطَلَح فى تحديد أول سِنٍّ تصح معها رواية أحاديث السنة وأهليّة الراوى لتحمُّلها وأدائها .